

## ليبيد يعدد سني حياته

للاستاذ عبد القادر رشيد الناصري

-----

هذا شاعر جاهل من الذين يتصف شعرهم بالفخامة والقوة  
والبداهة، وقلة الحشو وقوة اللفظ، ولد في الجاهلية وعاش حتى  
أدرك الإسلام فأسلم كما يقول :

الحد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

أما اسمه فليبيد بن ربيعة من بني عامر بن صعصعة وهي قبيلة  
مضرية، وأما ترجمته فيسورة لسكل أديب، كتب عنه صاحب  
الجمهرة، والشعر والشعراء، والزهري، لذلك سنضرب عنها صفحا.  
ولكن الذي يهمنا هو الوقوف عند شعره الجزل الذي عدد فيه  
سني حياته. إذ لا أظن في العربية شاعرا تطرق إلى هذه  
الفاحية عداه

وقد عمر هذا الشاعر طويلا حتى أن الروايات اختلفت في  
تاريخ وفاته، فقد قال بعضهم إنه عاش ١٤٠ عاما وقال بعضهم إنه  
عمر حتى سنة ٨٤١ هـ ومات في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان  
وعمره آنذاك ١٧٥ حتى أنه سُم الحياة فقال :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف ليبيد  
وكيف لا يتطرق السأم إلى نفس رجل طال عمره إلى ما بعد  
المائة بنصف قرن وقد سبقه زهير بن أبي سلمى فقال بصف سأمه  
وهو في الثمانين :

سئمت تكاليف الحياة ومن يمض ثمانين حولا لا أبالك يسام  
وليبيد هذا ذكره شوق في رائيته الزائفة عن أبي الهول :

وشكوى ليبيد أطول الحياة ولو لم تطل لتشكى القصر  
وهي قصيدة تمد من عيون الشعر العربي ومن مختارات  
أبي علي بل من أنعم ما نظم في حياته

وليبيد هذا أشار إلى منزلته ومكانته في الشعر الإمام الشافعي:  
ولولا الشعر بالعلماء يزرى لكنت اليوم أشعر من ليبيد  
كما نوه باسمه أبو تمام أستاذ الشعر حين قال من قصيدة

مدح أبا عبد الله أحمد بن أبي دؤاد

طمنوا فكان بكاي حولا بهدم ثم اروعوت وذاك حكم ليبيد  
إن كان مسعود سقى أطلالم سيل الشئون فليست من مسعود  
ومطلع هذه القصيدة :

أرايت أي سرائف وخذود عنت لنا بين الأري فزرد

قلنا إن الرواة اختلفوا في المدة التي عاشها هذا الشاعر وهذا

لا يهم ما دام نفسه قد سجل عمره فقد قال وهو في العشرين :

كأن وقد جاوزت عشرين حجة خلعت بها عن منكبي رداثيا

وإذا علمنا أنه في الأيام الأخيرة أي بعد إسلامه انقطع عن

النظم وأنه أقام بالكوفة حتى مات، وعندما وصلت به السن إلى

العام العاشر بعد المئة قال :

أليس في مائة قد عاشها رجل وفي تكامل عشر بعدها عمر

علمنا صحة ما ذهب إليه ببعض الرواة من أنه أكل قرنا

ونصف القرن، وهي حياة طويلة بالنسبة لغيره من المعمرين في

الجاهلية والإسلام

فقد قال وسنه آنذاك ٧٧ غاطبا نفسه :

بانت تشكى إلى الموت مجهشة وقد حملتك سبما بعد سبمينا

فإن تزيد ثلاثا تبلى أملا وفي الثلاث وقاه للثمانينا

شعر جميل بالرغم من وجود إشباع في لفظة تزيد من صدر

البيت الثاني كما يقول العروضيون

ثم درجت به السنون حتى أشرف على قة الثمانين فهتف من

أعماق قلبه :

إن الثمانين - وبلغتها - قد أحوجت سمي إلى ترجمان

يا لله من روعة لفظة وبلغتها، وبالبحر هذا الحشو الرائع ا

ومضت تلك المعجزة - بحجة الحياة - تدور وهي تهب

بالشاعر الأرض حتى أشرفت به على التسمين فصاح صيحة

المهرك الحائر :

كأنني وقد جاوزت تسعين حجة خلعت بها عن عذار الجاهي

رمضى بنات الدهر من حيث لأرى فكيف بمن يرمى وليس يرمى (١)

(١) بنات الدهر صروفه ونوابه. ومن أروع ما رأيت من بنات الدهر

لؤلؤ التلي في الحمى :

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف خلعت أنت من الزحام  
وخلص - بالمكان وصل إليه

نعم هو من ربيعة ومن مضر ، وكيف ينكر الموت وهو  
الرجل المؤمن الذي يقول منه الرواة أن رسول الله (ص)  
قال فيه «أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد» ويعنى قوله  
ألا كل شئ ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل  
وهو نفسه يقول في شيخوخته

إن تقوى ربنا خير نفل وبإذن الله ربى والمجل  
أحمد الله ولا نند له بيديه الخير ما شاء فعل  
من عداه سبيل الخير اهتدى ناعم الببال ومن شاء أضل  
والذى يقول

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادا بعد ما هو ساطع (٣)  
وما المال والأهلون إلا ودائع ولا بد يوما أن ترد الودائع  
وما الناس إلا عاملان : فامل يتبر ما بينى ، وآخر راقع (٤)  
والقائل يصف الموت أيضا

وكل أناس سوف تدخل بيتهم دويبة تصفر منها الأنامل  
تقتل بمجيب إذن لا يطلب من بنتيه أن لا تمجبا من موته ؟  
اسمه وقد سئل عن رأى الناس فقال

المرء يدعو للسلا م وطول عيش قد يضره  
كم شامت بي إن هلكت وقائل لله دره

ولكن ما بهم الميت الذى ينفض الحى تراه من راحته أن  
يقول فيه ما يقول ؟ أليس الموت غابة الحياة ؟ أو ليس الناس اثنين  
إما قادم أو مادم

وبعد هذه كلمة قصيرة ذكرنا فيها طرفا من شعر لبيد الذى  
سجل فيه سنى حياته ، ولبيد هذا من الشعراء البارزين فى الجاهلية  
فقد جاء فى الصفحة ٢٩٧ من الجزء الثانى من الزهر « وسئل  
لبيد من أشعر الناس ؟ فقال : الملك الضليل ثم الشاب القليل  
(طرفة) ثم الشيخ أبو عقيل ويعنى نفسه » وهو صاحب  
المعلقة الشهيرة

عفت الميار محلها فقمامها بمى تأيد فولها فرجامها  
وجلا السيول عن الطلول كأنها زير نجد متونها أنلامها  
فوقفت أسألها وكيف سؤالنا صما نخواله ما بين كلامها

فلو أننى أرمى بنبل رأيتها . وليكننى أرمى بنبر سهام  
ألا يرى الفارى هذه الصورة التى وصفها لبيد (رجل أمزل  
من السلاح يرمى بنبل لا يراها واسكن بحس ، وقمها) ألا بشعر  
بالأم ؟ ألا يستحق الرثاء !! ألم تكن هذه السنوات الطوال التى  
مرت عليه بأعبائها وأثقالها سهاماً قاتلة وليكن غير منظور .  
أتعجب بعد هذا منه إذا ما ضاق ذرعا بالحياة .. فهتف بذلك  
الشعر الجزل الحزين ؟

وراح الزمن يسير وإذا بالشاعر يلتفت الى الوراء فيرى أنه  
قطع سنوات طويلة حافلة بالمجائب ، وإذا به كما قلت يصل إلى  
العاشرة بعد المائة فيقول :

أليس فى مائة قد عاشها رجل وفى تكامل عشر بعدها عمر  
وهو عمر طويل حقا ولكن ما يقول اذا جاوزها ؟ اسمه  
وقد مضت عليه عشرون بعد المئة كما يقول الرواة . ولكنه آنذاك  
لا يسجل - السنين كما سجلها من قبل بصرخ صرخة : المزاء

ولئن كبرت لقد عمرت كأننى فغن تقيؤه الرياح رطيب  
وكذاك حقا من يعمر بقله كر الزمان عليه والتغليب  
مرط (٢) الفذاذفليس فيه مصنع لا الرىش ينغمه ولا التقيب  
ويريد بهذا أن الذى يقطع تلك النجوة الطويلة من الحياة  
يصبح كالمطائر الذى تفت شعره من جراء كر الزمان عليه وكثرة  
ما مر عليه من عواصف الحياة ، فكيف يستطاع بعد ذلك  
الطيران !!

ويقول الرواة أو شعره على الأصح أنه عندما أحس بالموت  
يدنو منه ، وأن حياته ستقتم .. نظر إلى أولاده وم حوله ليكون  
فقال

تمنى ابتغى أن يمشى أبوها وهل أنا إلا من ربيعة أو مضر  
وفى ابى « زار » أسوة إن جزعا

وإن تسالأم نخبرا فيهم الخبر  
فقوما فقولا بالذى قد علمنا ولا نخمشا وجها ولا تحلقا شعر  
وقولا هو المرء الذى لا خليله أضاع ولا خان الصديق ولا غدر  
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما  
ومن بيبك حولا كاملا فقد اعتر

(٢) مرط الشعر تفة ، ومن خف شعر جسده فهو أمرط . والفذاذ  
لقد الصر له وسوله . السهم الصق الرىش به . الرىش قطع أطرافه وحرفة .

(٣) حار . وجر رد  
(٤) نبر . أمكك ودمر

## ٢- رحلة إلى الحجاز

للشيخ مصطفى البكري الصريفي

للأستاذ سامح الخالدي

ومن باب السلام لقد دخلنا وأهدينا السلام من السلام

ومنها هذا الفخر الرائع الذي يذكرنا بقهر ابن كثوم. وغير مستغرب من ليبدأن يفخر وهو الشاعر الشريف ذو المجد الأثيل والحسب العريق، ومن الذين لم يكتسبوا بالشعر وهو الذي قال عنه صاحب الجهرة (كان ليبدأن جوداً شريفاً في الإسلام والجاهلية) والتي قالت عنه عائشة رضي الله عنها: رحم الله ليبدأن ما أشعره في قوله

هب الذين يماش في أكتافهم وبقيت في خلف كجمل الأجراب  
لا يفقهون ولا يرجي خيرهم ويباب قائلهم وإن لم يشعب  
فهذا شأن شاعر جواد شريف لا يحق أن يفخر فيقول من  
- الملقبة -

من مشر سنت لهم آباؤهم راسل قوم سنة وإمامها  
فتبوا لنا ملكاً رقيماً سمكاً فما إليه كهلها وعلامها  
قانع بما قسم الملك فأبما قسم الخلائق بيننا علامها  
وإذا الأمانة قسمت في مشر أوفى بأعظم حظنا قسامها  
فهم السعاة إذا المشيرة أفضلت وهو فوارسها وم حكاهما  
وهو ربيع للمجاور فيهمو والمرمات إذا تطاول عامها  
هذا ما عن لي ذكره ولا أريد أن أختم البحث دون أن  
أشير إلى بيتيه الخالدين

اهمرك ما تدرى الضوارب بالحصى

ولا زاجرات الطير ما الله صانع

سلوهن ان كذبتموني متى الفتى

بذود النايأ أو متى القيب واقع

ولنا رجمة إن شاء الله إلى هذا الشاعر حيث تأخذ شعره

وحياته وأخباره بالتفصيل .

بنداد

عبد القادر رشيد الناصري

وقنا عند شباك نزيه ودمي في اشتباك وانسجام الخ  
وتذكرت في هذا المقام قول الإمام سيدي أحمد بن الرفاعي  
فدس الله سره:

في حالة البمد روي كنت أرسلها

تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الأشباح قد حضرت

قامد يمينك كي تحطى بها شفقي

ثم صليت تحية المسجد لدى المنبر، وتذكرت قصيدة من  
نقائس القصائد نقلتها من مجموع جامع، وكان رآها شيخنا الشيخ  
محمد بن إبراهيم الككدكجي، فأخبرني أن جناب شيخنا الفني (١)  
بربه، سمع في زيارته منشدا لها على سدة الحرم النبوي والمسجد،  
فأجرت المدامع كالسحب الموامع، فطلبها ليقيتها في رحلته  
الكبرى، فلم يجب الطلب، وألقصيدة هي:

يا عين هذا السيد الأكبر وهذه الروضة والنبر  
فشامدي في حرم المصطفى من نوره الساطع ما يهر  
وعمقنا بمد هينة على زيارة بقيق الفرقد، وصرنا بمد

الزيارة والطواف على من حل فيه من أهل الإشارة، تتردد على  
الحرم النبر، وكانت ليلة دخولنا المدينة الثلاثاء وأقنا الأرباء  
والخميس، وذلك الخامس والمشرون من ذي القعدة، ولم يتيسر  
لي اللبث في حرم التبيت إلا ليلة الحبور، ولذا سميت بالخميس،  
وبعد أن صليت المشا جلست في الروضة الجنانية، مواجها  
للحجرة الشريفة الأمانية، وختمت كتاب الدلائل، وصليت  
ما تيسر، تقدمت إلى ما بين الأسطوانتين، مستقبلاً للوجه  
الأزهر، ولم أقدم إلى الشباك، واستأذنت في عرض (ورد  
المحر) على أسماء الكريمة، فأتممته وأنا بين يديه واقع، وكنت  
إذذاك وحدي، وتقدمت يسيراً لقبالة وجه جدنا الأعلى صاحب  
في التبار، فرضته عليه، وواجهت وجه سيدي عمر بن الخطاب  
وكروته على أسماء. ثم أتيت باب جبريل، وأعدته، ثم بيت  
الزهراء آيت، وبالباب ساغرا وقتت وقرأته راجياً بشفاعته

(١) هو الشيخ عبد النبي النابلسي، أستاذ الشيخ البكري،